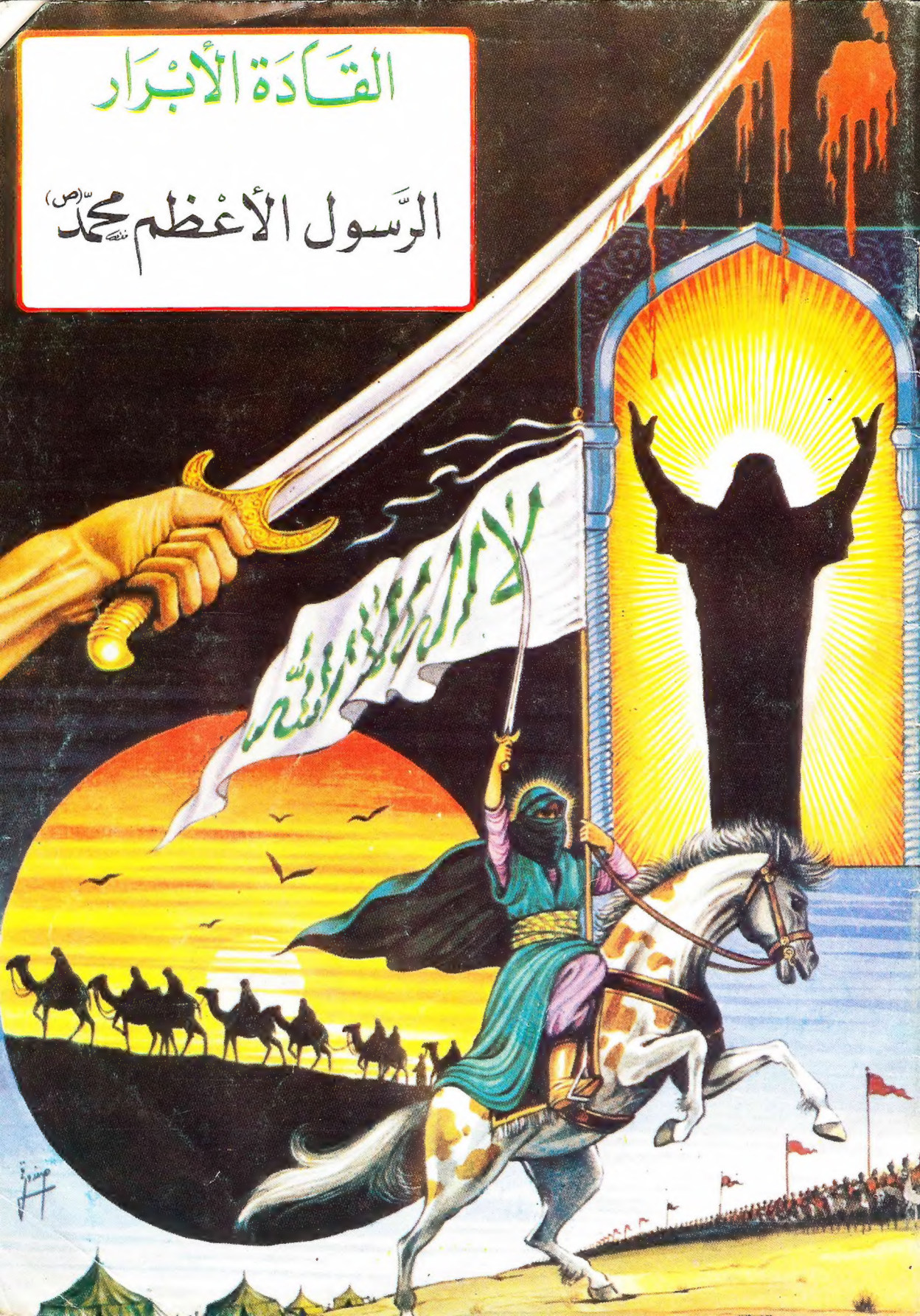


القَادَةُ الْأَبْرَارُ

الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ مُحَمَّدٌ (ص)



الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ مُحَمَّدٌ (ص)



القادة الأبرار

الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ مُحَمَّدٌ (ص)

الدارالاسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلکس ٢٣٢١٢ - غدیر
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

الرسول الأعظم محمد (ص)

الاسم : محمد (ص)

اسم الأب : عبد الله .

اسم الأم : آمنة

تاريخ الولادة : عام الفيل

محل الولادة : مكة

تاريخ الوفاة : السنة الثالثة عشرة للهجرة

محل الوفاة : المدينة

محل الدفن : المدينة .

بسم الله الرحيم الرحيم

عام الفيل

قبل الهجرةِ باثنتين وخمسين سنةً، توجهَ أبرهةُ
الأشرمُ من اليمنِ بجيشٍ كبير، عمادُه محاربونَ يركبونَ
الفيلةَ، توجهَ نحو مكةَ لتدميرِ بيتِ الله . وقامَ في طريقه
إلى مكةَ بالقضاءِ على كلِّ من حاولَ الوقوفَ في
وجهه .

وصلَ جيشُ أبرهةَ إلى ضواحي مكة، وكانَ الوقتُ
ليلاً، فأقامَ مُعسكرَهُ هناكَ في انتظارِ الصُّباحِ ليشرَعَ
في هُجومِهِ، بينما سارَعَ أهلُ مكةَ إلى الجبالِ هرباً
منه، وأسلموا الكعبةَ إلى الله، فهو سبحانه الكفيلُ
بالدِّفاعِ عنها، فهي أوَّلُ بيتٍ أُقيمَ في الأرضِ لعبادتهِ
تعالى .



وفي الصُّبْحِ الْبَاكِرِ. شرَعَ الْمُقَاتِلُونَ بِهَجُومِهِمْ
عَلَى الْكَعْبَةِ، يَتَقَدَّمُهُمْ رُكَّابُ الْفَيْلَةِ، وَفَجْأَةً ظَهَرَتْ فِي
السَّمَاءِ أُسْرَابٌ هَائِلَةٌ مِنَ الطُّيُورِ، تَحْمِلُ فِي مَنَاقِيرِهَا
حِجَارَةً صَغِيرَةً، قَامَتْ بِإِلْقَائِهَا فَوْقَ رُؤُوسِ أِبْرَهَةَ
وَرَجَالِهِ، ارْتَفَعَ صُرَاخُ الْعَسْكَرِ وَتَعَالَى أُنْيُنُهُمْ
وَتَوَجَّعُهُمْ، وَبَدَأُوا يَتَسَاقَطُونَ، الرَّكَّابُ مِنْهُمْ وَالرَّاجِلُ،
الْحِصَانُ وَفَارِسُهُ، الْفَيْلُ وَرَاكِبُ الْفَيْلِ، تَسَاقَطُوا فَوْقَ
بَعْضِهِمْ أَكْوَامًا مِنَ الْجُثَثِ، وَهَكَذَا قَضَى إِلَهُ الْقَدِيرُ
عَلَى أَعْدَائِهِ الْمَارِقِينَ. وَكَانَ هَذَا الْحَدَثُ الْعَجِيبُ وَرَاءَ
تَسْمِيَةِ تِلْكَ السَّنَةِ بـ «عَامِ الْفَيْلِ»، الْعَامِ الَّذِي تَمَّ فِيهِ
الْقَضَاءُ - وَبِإِرَادَةِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ - عَلَى فَيْلَةِ الْحَرْبِ
وَرُكَّابِهَا، بِحِجَارَةٍ صَغِيرَةٍ اخْتَرَقَتْ أَجْسَادَهُمْ، وَحَفِظَ
اللَّهُ بَيْتَهُ مِنْ عُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ.

محمد الأمين :

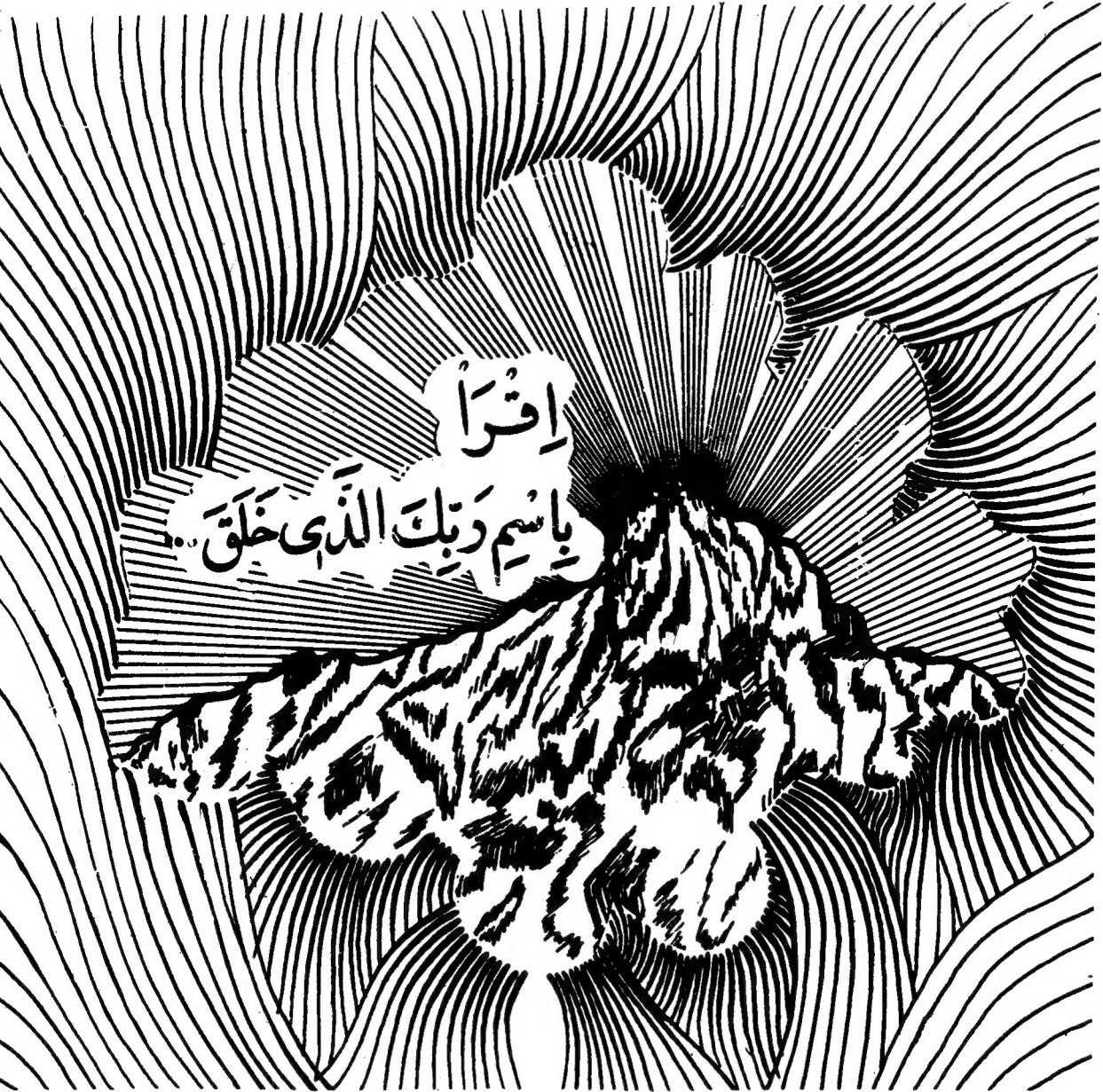
فِي ذَلِكَ الْعَامِ «عَامِ الْفَيْلِ» وَلَدَ الرَّسُولُ الْأَكْرَمُ،
لِأُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ. وَكَانَتْ آمِنَةُ سَلِيلَةَ بَيْتِ الْكَرَمِ
وَالشَّرَفِ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِالسُّمْعَةِ الطَّيِّبَةِ وَالطَّهَارَةِ

والعَفَافِ، أَمَّا أَبُوهُ فَكَانَ يُدْعَى عَبْدَ اللَّهِ، الابْنُ
المُحِبُّ مِنْ أَبِيهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ (جَدُّ الرَّسُولِ)، وَسَيِّدُ
قَوْمِهِ، وَمَوْضِعُ اعْتِزَالِهِمْ واحْتِرَامِهِمْ. وقد فارقَ
عَبْدُ اللَّهِ الحَيَاةَ قَبْلَ ولَادَةِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ص)، أَمَّا
أَمْنَةُ فَقَدْ انْتَقَلَتْ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهَا بَعْدَ ولادَتِهِ (ص) بِسِتِّ
سِنَوَاتٍ، فَكَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَعَهْدَ بِهِ إِلَى امْرَأَةٍ
عَفِيفَةٍ شَرِيفَةٍ، اسْمُهَا حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ، لِتَقُومَ بِإِرْضَاعِهِ
وِرِعَايَتِهِ، وَقَدْ تُوَفِّيَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بَعْدَ عَامَيْنِ، فَأَخَذَهُ
عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ إِلَى بَيْتِهِ، وَتَكَفَّلَ بِرِعَايَتِهِ وَتَرْبِيَتِهِ.

كَانَ أَبُو طَالِبٍ يَتَعَاطَى التَّجَارَةَ، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ
تُجَّارِ مَكَّةَ أَنْ يَخْرُجُوا بِتِجَارَتِهِمْ إِلَى الشَّامِ مَرَّةً فِي
السَّنَةِ، ؛ وَقَدْ رَافَقَ مُحَمَّدٌ (ص) عَمُّهُ أَبَا طَالِبٍ فِي
إِحْدَى رَحَلَاتِهِ إِلَى الشَّامِ.

عَرَفَ الْجَمِيعُ عَنْ مُحَمَّدٍ (ص) أَمَانَتَهُ وَاسْتِقَامَتَهُ،
حَتَّى اشْتَهَرَ بَيْنَهُمْ بِـ «مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ». وَلَمَّا عَلِمَتْ
خَدِيجَةُ بِاسْتِقَامَتِهِ وَأَمَانَتِهِ، وَكَانَتْ مِنْ أَشْرَفِ نِسَاءِ مَكَّةَ
وَأَكْثَرِهِنَّ ثَرَاءً، سَلَّمَتْهُ أَعْمَالَهَا التَّجَارِيَّةَ، فَاكْتَسَبَ خِبْرَةً

إِفْرَأْ
بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...

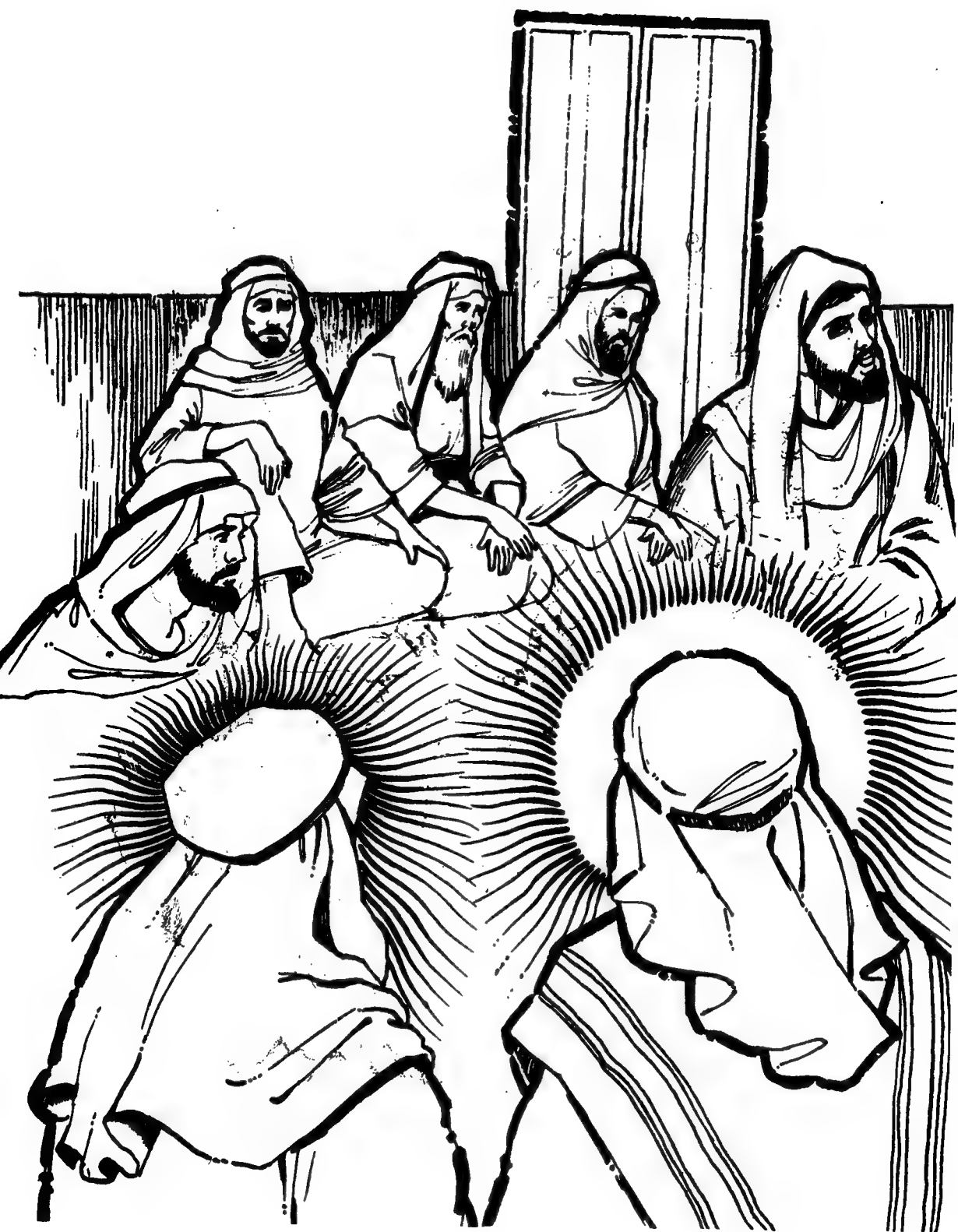


وَاسِعَةً بِطُرُقٍ وَأُصُولِ التِّجَارَةِ، ثُمَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ أَحْبَتْ
أَخْلَاقَهُ وَعِزَّةَ نَفْسِهِ، فَتَزَوَّجَتْ مِنْهُ، وَوَضَعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَفِي تَصَرُّفِهِ، كَامِلَ ثَرَوَتِهَا وَأَعْمَالِهَا..

فَقَامَ (ص) مُسْتَعِينًا بِقُوَّةِ شَبَابِهِ وَإِرَادَتِهِ، وَمَا وَفَّرَتْهُ
لَهُ زَوْجَتُهُ مِنْ إِمْكَانِيَّاتٍ، قَامَ بِمُسَاعَدَةِ الْمَظْلُومِينَ، وَمَدَّ
يَدَ الْعَوْنِ إِلَى الْفُقَرَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ.

رُزِقَ (ص) مِنْ خَدِيجَةٍ بَسْتَةٍ أَبْنَاءَ: وَلَدَيْنِ
أَسْمَاهُمَا قَاسِمًا وَعَبْدَ اللَّهِ، وَقَدْ تَوَفَّيَا صَغِيرَيْنِ قَبْلَ بَعْثَتِهِ
(ص)، وَأَرْبَعَ بَنَاتٍ هُنَّ رُقَيْةٌ وَزَيْنَبُ وَأُمُّ كُلْثُومٍ
وَفَاطِمَةُ (ع). وَكَانَ (ص) كَثِيرَ الصَّبْرِ عَظِيمَ الْجَلْدِ،
فَلَمْ يَبْدُرْ مِنْهُ أَيُّ إِحْسَاسٍ بِالضَّعْفِ لِمَوْتِ وَلَدَيْهِ، بَلْ
تَقَبَّلَ قِضَاءَ اللَّهِ وَحُكْمَهُ بِالرَّضَى وَالْإِقْرَارِ.

كَانَ (ص) يَتَمَتَّعُ بِاحْتِرَامٍ شَدِيدٍ بَيْنَ النَّاسِ،
وَكَانُوا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ لِيَسَاعِدَهُمْ فِي حَلِّ مَشَاكِلِهِمْ،
وَكَانُوا يَتَّقُونَ بِهِ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ، وَيُودِعُونَ لَدَيْهِ
أَمَانَتَهُمْ، وَلَمْ تُعْرِفْ عَنْهُ كِذْبَةٌ وَاحِدَةٌ، لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا
صَادِقًا مُؤْمِنًا. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم - ٤).



كَانَ النَّاسُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، بَيْنَمَا
كَانَ هُوَ يَعْبُدُ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ، مِلَّةَ جَدِّهِ إِبْرَاهِيمَ
الْخَلِيلِ (ع)، وَكَانَ يَقْضِي مُعْظَمَ وَقْتِهِ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ
حِرَاءٍ، وَهُوَ غَارٌ يَقَعُ عَلَى قِمَّةِ جَبَلٍ فِي شِمَالِ مَكَّةَ.
وَكَانَ يَذْهَبُ خَفِيَةً إِلَى هُنَاكَ، فَيَقْضِي شَهْرَ رَمَضَانَ
بِكَامِلِهِ، يُصَلِّي وَيَعْبُدُ رَبَّهُ وَيُنَاجِيهِ.

البعثة :

فِي السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ، وَكَانَ
(ص) كَعَهْدِهِ دَائِمًا مَشْغُولًا بِعِبَادَتِهِ فِي الْغَارِ، وَإِذَا
بِجِبْرَائِيلَ - مَلَاكِ الرَّحْمَانِ - يَظْهَرُ أَمَامَهُ، وَمَا إِنْ تَطَلَّعَ
إِلَيْهِ حَتَّى بَادَرَهُ قَائِلًا: ﴿اقْرَأْ﴾!! لَكِنْ مُحَمَّدًا (ص)،
وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ قَدْ تَلَقَّى أَيَّ تَعْلِيمٍ، وَهُوَ لَا يُحْسِنُ
الْقِرَاءَةَ أَوْ الْكِتَابَةَ، أَجَابَ مُتَعَجِّبًا: وَمَاذَا أَقْرَأُ؟ فَأَنَا لَا
أُحْسِنُ الْقِرَاءَةَ! قَالَ جِبْرَائِيلُ مَكْرُرًا أَمْرَهُ: «اقْرَأْ!!»
لَكِنَّهُ وَلِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ سَمِعَ الرَّدَّ نَفْسَهُ، وَحِينَ كَرَّرَ قَوْلَهُ
لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ، أَحَسَّ مُحَمَّدٌ (ص) أَنَّ بَاسْطَاعَتِهِ أَنْ
يَقْرَأَ. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

وهكذا اختار الله سبحانه محمداً (ص) للنبوّة، وهو في سنّ الأربعين، وكلفه بأن يقوم بهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات والشرك والجهل الذي هم فيه، إلى رحاب العلم ونور الإيمان، وأن يرشدهم إلى طريق السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء -

١٠٧).

نزل الرسول (ص) من الجبل مضطرباً وتوجّه إلى بيته، وهناك كانت أول امرأة آمنت به، وهي زوجته خديجة، وأول رجل مدّ يده إليه بالبيعة، ابن عمه الفتى علي بن أبي طالب، الذي تربى في بيت الرسول (ص) منذ نعومة أظفاره.

وانذر عشيرتك الأقربين.

كان النبي (ص) حين يقوم للصلاة، يقف عليّ (ع) عن يمينه وتقف خديجة من ورائه، واستمر الأمر كذلك، حتى أمر أبو طالب ولده جعفر باتّباع الرسول.

(ص). ثم نَزَلَ إِلَيْهِ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى ، بِأَنْ يَقُومَ بِدَعْوَةِ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشُّعْرَاء - ٢١٤).

فَدَعَا (ص) إِلَى بَيْتِهِ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعِينَ فَرْدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ ، وَبَعْدَ أَنْ تَنَاوَلُوا الطَّعَامَ ، وَقَفَ بَيْنَهُمْ ، وَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : « يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابًا فِي الْعَرَبِ ، جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَيْتُكُمْ يُؤَاذِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فَيْكُم ؟ » .

وَمِنْ بَيْنِ الْحُضُورِ جَمِيعِهِمْ ، وَقَفَ عَلِيُّ (ع) وَهُوَ مَا يَزَالُ ابْنَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ ، وَأَعْلَنَ اسْتِعْدَادَهُ لِمُؤَاذِرَةِ الرَّسُولِ (ص). كَرَّرَ الرَّسُولُ (ص) قَوْلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَكَانَ الْوَحِيدُ الَّذِي اسْتَجَابَ لَهُ فِي الْمَرَّاتِ الثَّلَاثِ هُوَ عَلِيُّ (ع).

بَقِيَ الرَّسُولُ (ص) يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ سِرًّا ، لِمُدَّةٍ

ثلاث سنواتٍ ، واستجابَ لدعوة الإيمانِ عددٌ قليلٌ من
الناسِ .

في مواجهة الشُّركِ .

في تلك الأيَّامِ ، كانَ النَّاسُ يَفِدُونَ إلى مَكَّةَ من
بِلَادٍ وَأَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ لِلْحَجِّ ، وكانوا يُحْضِرُونَ مَعَهُم
بِضَائِعَ يَحْتَاجُهَا أَهْلُ مَكَّةَ ، فَيَتَجَرَّونَ بِهَا مَعَهُمُ ، وكانَ
هذا العملُ مُصَدَّرَ رِبْحٍ وَفِيرٍ يَجْنِيهِ أَثْرِيَاءُ مَكَّةَ ، والرِّبْحُ
هو هَمُّهُمْ وَمُخَوِّرُ تَفْكِيرِهِمْ .

كانَ الرَّسُولُ (ص) يَدْعُو النَّاسَ إلى تَرْكِ العاداتِ
السَّيِّئَةِ ، كَالزُّنَا وشُرْبِ الخَمْرِ ووَادِ البَنَاتِ وَقَتْلِهِمْ ،
وَأَكْلِ مالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلِ المِيتَةِ وشَهَادَةِ الزُّورِ ، وغيرِ
ذلكَ من الفَوَاحِشِ . وكانَ يَدْعُوهُمْ بِالْمُقَابِلِ إلى الأَمْرِ
بِالمَعْرُوفِ والإِحْسَانِ إلى الأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى
والمَسَاكِينِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الجَوَارِ .

وكانَ (ص) يَجْلِسُ إلى أَوَّلِكَ الزُّوَّارِ القَادِمِينَ مِنْ
بَعِيدٍ ، وَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ ، وَيَنْصَحُهُمْ بِتَرْكِ عِبَادَةِ

الأصنام ، التي صَنَعَهَا الْكُفَّارُ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَشَبِ
وَالْحِجَارَةِ ، وَنَصَبُوهَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَوْقَ الْكَعْبَةِ ،
يَنْصَحُهُمْ بِتَرْكِ عِبَادَتِهَا لِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ .
وَأَنْ يَتَّجِهُوا بِالْعِبَادَةِ إِلَى الْإِلَهِ الْوَاحِدِ ، خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ .

كان أثرياء مَكَّةَ يَتَسَاءَلُونَ : ماذا لو اسْتَمَعَ النَّاسُ إِلَى
مُحَمَّدٍ وَتَرَكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ، إِذَنْ لَانْقَطَعَ قُدُومُهُمْ إِلَى
مَكَّةَ ، وَاِنْقَطَعَ مَعَهُمْ مَوْرِدُ رِزْقِنَا وَمَصْدَرُ أَرْبَاحِنَا ، لِذَلِكَ
شَرَعُوا فِي إِعْلَانِ الْخِصَامِ الشَّدِيدِ لِمُحَمَّدٍ (ص)
وِلِتَابِعِيهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ ، وَرَغِمَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ
عَدُوُّ الْمُؤْمِنِينَ يَزْدَادُ يَوْمًا عَنْ يَوْمٍ ، كَمَا كَانَتْ مُعَامَلَةُ
قُرَيْشٍ لَهُ وَلِأَصْحَابِهِ ، تَزْدَادُ قَسْوَةً وَوَحْشِيَّةً . وَكَانَ
مُشْرِكُو قُرَيْشٍ يُنْزِلُونَ بِالْمُسْلِمِينَ الْأَذَى وَالضَّرَرَ ،
وَيُوجِّهُونَ لَهُمُ السَّبَابَ وَالشَّتَائِمَ ، كَيْ يَمْنَعُوا انْتِشَارَ
الْإِسْلَامِ بَيْنَ النَّاسِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَجْرُؤُوا عَلَى تَوْجِيهِ
الْأَذَى لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، لِأَنَّهُمْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى قَبَائِلَ
عَدِيدَةٍ ، تَحْسُبُ قُرَيْشٌ حَسَابَهَا ، وَأَمَامَ عَجْزِهِمْ ذَاكَ ،
فَقَدْ تَوَجَّهَ نَفَرٌ مِنْ أَعْيَانِهِمْ إِلَى بَيْتِ أَبِي طَالِبٍ ، عَمَّ



الرَّسُولِ وَحَامِيهِ، وَسَيِّدِ بَنِي هَاشِمٍ، وَشَكُّوا إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ
مَعَ مُحَمَّدٍ قَائِلِينَ:

يَا أَبَا طَالِبٍ! إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ مُحَمَّدًا قَدْ عَابَ
آلِهَتَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا وَسَخَّرَ مِنْ عَقَائِدِنَا، وَاتَّهَمَ آبَاءَنَا
بِالضَّلَالِ، وَنَحْنُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لَكَ نَقْدَمُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا
يَطْلُبُ، لَوْ تَرَكْنَا هَذَا الْأَمْرَ، فَإِنَّمَا أَنْ تَمْنَعَهُ أَنْتَ، وَإِنَّمَا أَنْ
تُسَلِّمَهُ إِلَيْنَا فَنَرَى فِيهِ رَأْيَنَا.

قال أبو طالب: سأحدثُ إليه في هذا الأمرِ.
وعندما نقلَ أبو طالبُ أقوالَ قُرَيْشٍ إلى النبي (ص)
أجابهُ: «والله يا عَمَّ، لو وَضَعُوا الشَّمْسُ في يَمِينِي،
وَالْقَمَرَ في شِمَالِي، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ
حَتَّى يُظْهَرَ اللَّهُ أَوْ أَهْلُكَ دُونَهُ». فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو طَالِبٍ
مَقَالَةَ النَّبِيِّ (ص) وَرَدَّهُ عَلَى الْعَرَضِ الَّذِي تَقَدَّمَتْ بِهِ
قُرَيْشٌ، أَخَذَ يَدَهُ بِقُوَّةٍ وَحَرَارَةٍ قَائِلًا: وَأَنَا أَيْضًا أَقْسِمُ
بِاللَّهِ، أَنِّي لَنْ أَرْفَعَ يَدَيَّ عَنْكَ، فَسِرْ فِي طَرِيقِكَ.

رَأَى كِبَارُ قُرَيْشٍ أَنَّ يُلْجَأُوا إِلَى الْحَدِيدَةِ
وَالْمَكْرِ، بَعْدَ أَنْ رَأَوْا فَشْلَ تَحْطِيطِهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: يَا

أبا طالب، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ شَتَّ جُمُوعَنَا وَسَخَّرَ مِنَّا وَمِنْ
أَصْنَامِنَا الَّتِي نَحْنُ لَهَا عَابِدُونَ، حَتَّى أَغْرَى بِنَا
غِلْمَانَنَا، وَشَجَّعَهُمْ عَلَى الْعِصْيَانِ وَالتَّمَرُّدِ، وَنَحْنُ لَا
نَرَى تَفْسِيرًا لِسُلُوكِهِ وَلَا نَدْرِي مَا هُوَ غَرَضُهُ. فَإِنْ كَانَ
فَقِيرًا أَغْنَيْنَاهُ، وَإِنْ كَانَ يُرِيدُ الْمُلْكَ وَالْجَاهَ، أَمَرْنَاهُ عَلَيْنَا
وَلَهُ مِنَّا الطَّاعَةُ، وَكُلُّ مَا نَطْلُبُهُ مِنْهُ، هُوَ أَنْ يَتَحَلَّى
عَنْ هَذِهِ الدَّعْوَةِ! وَيَتْرَكَنَا لِحَالِنَا وَأُمُورِنَا. لَكِنَّ الرَّسُولَ
(ص) نَظَرَ إِلَى عَمِّهِ وَقَالَ: يَا عَمَّاهُ، أَنَا لَا أُرِيدُ مِنْ
هَؤُلَاءِ النَّاسِ شَيْئًا! وَلَا أَطْلُبُ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
الْوَاحِدِ الْعَظِيمِ، وَيَتْرَكُوا مَعْبُودَاتِهِمْ وَأَصْنَامَهُمُ الْحَقِيرَةَ
تِلْكَ، فَإِنَّهَا لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا. سَمِعَ رِجَالُ قُرَيْشٍ
جَوَابَ الرَّسُولِ (ص) فَامْتَلَأُوا غَضَبًا وَغَيْظًا! وَخَرَجُوا
وَقَدْ صَمَّمُوا عَلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوا مَعَهُ الشَّدَّةَ وَالْقَسْوَةَ مِنْذُ
ذَلِكَ الْيَوْمِ.

عَقِبَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، ضَاعَفَتْ قُرَيْشٌ مِنْ إِيْذَانِهَا
لِلرَّسُولِ، وَتَعَذَّبَتْهَا لِأَصْحَابِهِ، حَتَّى أَنَّ بَعْضَ أَقَارِبِ
النَّبِيِّ (ص)، كَأَبِي لَهَبٍ، غَدَا مِنْ أَعْدَى أَعْدَائِهِ.

فكانوا يرمونه بالأقذار، ويسخرون منه ويوجهون إليه السبَّابَ على مَرَأى من النَّاسِ، حتَّى أَنَّهُم اتَّهَمَوْهُ بِالْخَبْلِ وَالْجُنُونِ. لَكِنَّهُمْ كَانُوا عِبثًا يُحَاوِلُونَ، فَلَمْ يَفُوزُوا مِنْ أَفْعَالِهِمْ هَذِهِ بِطَائِلٍ، وَكَمْ كَانُوا يَتَمَنُّونَ لَوْ يَقْتُلُوهُ وَيَتَخَلَّصُوا مِنْهُ، لَوْلَا خَوْفُهُمْ مِنْ عَزِيمَةِ أَبِي طَالِبٍ، وَسَيْفِ حَمْزَةَ، وَانْتِقَامِ بَنِي هَاشِمٍ. وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ رَسَمُوا خُطَطًا لِقَتْلِهِ، لَكِنَّهُمْ كَلَّمَا حَاوَلُوا تَنْفِيزَ خُطَطِهِم الشَّرِيرَةِ، كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لَهُم بِالْمِرْصَادِ، فَأَبْطَلَ أَعْمَالَهُمْ وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ.

أول شهادة في الإسلام.

كَانَ نَصِيبُ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَذَى قَلِيلًا، لِأَنَّهُمْ يَتَمَنُّونَ إِلَى قَبَائِلَ كَبِيرَةٍ وَمَشْهُورَةٍ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَخَافُونَ مِنْ قَبَائِلِهِمْ تِلْكَ، لَكِنَّ أَكْثَرَ أَتْبَاعِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، كَانُوا مِنَ الْفُقَرَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ، أَوْ مِنَ الْعَبِيدِ الْأَرْقَاءِ، فَكَانَ الْأَذَى الَّذِي يَنْزِلُ بِهِمْ أَقْوَى وَأَشَدَّ، كِبَالِ الْحَبَشِيِّ، وَكَانَ عَبْدًا أَسْوَدَ الْبَشَرَةِ، فَقَدْ طَرَحَهُ سَيِّدُهُ فَوْقَ الْأَحْجَارِ الْمُلْتَهَبَةِ تَحْتَ شَمْسٍ مَكَّةَ

الحارقة، كما طُرِحَتْ فوق صدره صخورٌ كبيرةٌ
الحجم، وتُرِكَ ساعاتٌ يُعاني من العذابِ والحرِّ،
والجوعِ والعَطَشِ، كانوا يَطْلُبُونَ منه الابتلاءَ عن
محمَّدٍ ودَعْوَتِهِ. لكنَّ جوابَ بلالٍ لهم كان قوله . .
أحد، أحد، الله واحد. فما كان من المُشركينَ أخيراً
إلاَّ أنْ ربطوه بِحبلٍ . وصاروا يَجْرُونَهُ في أَرْقَةِ مَكَّةَ،
فوقَ الأحجارِ والرَّمالِ، لكنَّ بلالاً كان مُسليماً حقاً،
ولم تكنْ شِدَّةُ العذابِ إلاَّ لِتزيدهُ قُوَّةً وإيماناً.

كما كان ياسرٌ وسُمَيَّةٌ وابنُهُما عَمَار، من
المُسلمينَ المستضعفينَ، المحرومينَ ممَّنَ يَحْمِيهِم
ويَدْفَعُ الأذى عَنْهُمْ. لذلك فقد رأوا من العذابِ أشدَّهُ،
أمَّا ياسرٌ وسُمَيَّةٌ فقد قَضَيَا شهيدَينِ تحتَ التعذيبِ.
وأما عَمَارُ، فقد قاومَهُم حتى اقْتَرَبَ من الموتِ، بَعْدَ
أنْ رأى مصرَعَ أبويه أمامَ عَيْنَيْهِ لَكِنَّهُ لم يكنْ أبداً ليرتدَّ
عن شريعةِ الإسلامِ، وإنْ تَفَوَّهَ بكلمةِ الكُفْرِ تَقِيَّةً تحتَ
تأثيرِ العذابِ. ﴿إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾
(النحل - ١٠٦).

كان الرسولُ (ص) يرى هذه الألوانَ من العذابِ،
تنزلُ بأصحابِهِ وأحبائِهِ، فَيَتَفَطَّرُ لَهُمْ قَلْبُهُ الْعَطُوفُ،
وَيَأْلَمُ لِمُصَابِهِمْ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ مِنْ عِلاجِ إِلَّا
الصَّبْرَ الْجَمِيلَ.

المقاطعة

أَحْسَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ أَنْ خُطِّطَ لَهُمْ لَمْ تَصِلْ إِلَى
نَتِيجَةٍ، وَرَأَوْا الْخَطَرَ يَزْدَادُ عَلَيْهِمْ بَارِزًا إِثْثَارًا
الْإِسْلَامِ، فَلَجَأُوا إِلَى تَدْبِيرِ خَسِيسٍ، بَعِيدٍ عَنْ
الْإِنْسَانِيَّةِ، وَقَرَّرُوا مُقَاتِلَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَرَضَ الْحِصَارَ
الْاِقْتِصَادِيَّ عَلَيْهِمْ، وَأَصْدَرُوا وَثِيقَةً تَتَضَمَّنُ أَرْبَعَ نُقَاطٍ
لِلْمُقَاتِلَةِ:

- ١ - منعُ الشُّرَاءِ وَالْمَبِيعِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.
- ٢ - مناصرةُ خُصُومِ مُحَمَّدٍ، وَالْإِثْرَامُ بِهَا، وَاجِبٌ
فِي جَمِيعِ النِّزَاعَاتِ.
- ٣ - لَا حَقَّ لِأَحَدٍ فِي الزَّوْجِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ
تَزْوِيجِهِمْ.

Long ago, in a far away land,
where the sun and moon were born,
there lived a king who was very old,
and his name was King Solomon.



٤ - يُمنع أيُّ شكلٍ من أشكالِ التعاملِ أو
العلاقةِ معَ المسلمين.

وعَلَّقُوا صَحِيفَةَ الْمُقَاتِلَةِ هَذِهِ عَلَى الْكَعْبَةِ.

لَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْحَالُ، وَكَيْفَ
غَدَتْ مَعِيشَةُ الْمُسْلِمِينَ مُسْتَحِيلَةً فِي مَكَّةَ، تَقَدَّمَ مِنْ
ابْنِ أَخِيهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُغَادِرَ بَنُو هَاشِمٍ إِلَى بَعْضِ
ضَوَاحِي مَكَّةَ، لِيُقِيمُوا فِي وَادٍ يُعْرَفُ بِـ «شُعْبِ أَبِي
طَالِبٍ» وَحِينَ لَمَسَ قَبُولاً مِنَ الرَّسُولِ (ص) بِاقْتِرَاحِهِ،
جَمَعَ أَفْرَادَ بَنِي هَاشِمٍ وَقَالَ لَهُمْ: لَقَدْ عَزَمَ مُحَمَّدٌ عَلَى
الانْتِقَالِ إِلَى الشُّعْبِ، لَذَا فَكُلُّ مَنْكُمْ مَكْلَفٌ بِمُرَافَقَتِهِ،
وَأَنْ يَكُونَ لَهُ مُسَاعِدَةٌ وَظَهِيرٌ حَتَّى النَّفْسِ الْآخِرِ.

إِمْتَدَّتْ مُقَاتِلَةُ قُرَيْشٍ لِبَنِي هَاشِمٍ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ،
كَانَتْ مِنْ أَشَدِّ الْفَتَرَاتِ قَسْوَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَخَاصَّةً
مِنْ حَيْثُ قِلَّةُ الْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى حَدٍّ كَانَ
فِيهِ الْفَرْدُ مِنْهُمْ يَنَالُ حَبَّةَ تَمْرٍ وَاحِدَةً فِي الْيَوْمِ، بَلْ كَانَتْ
حَبَّةُ التَّمْرِ هَذِهِ تُقَسَّمُ أَحْيَاناً بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ، وَكَانَ عَلَيَّ
(ع) يَأْتِيهِمْ بِالطَّعَامِ سِرّاً مِنْ مَكَّةَ. وَفِي الْأَشْهُرِ

الحُرْمِ ، حينَ كانَ الأمنُ يتوفَّرُ بِشكلٍ أَفضَلَ ، كانَ بعضُ فِتْيَانِ بني هاشِمٍ يَقْصُدُونَ مَكَّةَ لِتأمينِ بعضِ ما يلزَمُهُم من حاجياتٍ ، فكانت قريشُ تُحَرِّضُ الباعةَ على رفعِ أَسعارِهِم ، وكانَ أبو لَهَبٍ يَصيحُ في أسواقِ مَكَّةَ قائلاً: أَيُّهَا النَّاسُ ، ارْزُقُوا مِن أَسعارِكُم حتى لاَ يستطيعَ المسلمونَ شِراءَ ما يلزَمُهُم !! ما أَشَبَهَ اليومَ بالبارحةِ ، فَقوى الاستكبارُ اليومَ تعملُ جاهدةً على إِدخالِ المُسلمينَ في مَسالِكٍ مُماثِلَةٍ ، ولا يَزالُ هُناكَ أَناسٌ مِثْلُ أَبِي لَهَبٍ ، يَغْتَنِمُونَ ظُرُوفَ الحِصارِ الاقْتِصاديِّ ، فيرفعُونَ أَسعارَ بضائِعِهِم يوماً عن يومٍ ، إِنَّهُمْ من أُمثالِ أَبِي لَهَبٍ ، ومن السَّائرينَ على دَرَبِهِ ، وَهُمْ لَيَسُوا جَدِيرينَ بحالٍ من الأحوالِ أن يُدْعُوا بالمُؤمِنينَ .

بعد مُقاطعةٍ دامت ثلاثَ سَنواتٍ دونَ طائِلٍ ، وَحينَ ثَبَتَ لِقريشٍ أَنَّ الحِصارَ الاقتصاديَّ بدورِهِ لم يَأْتِ بِنتيجةٍ ، ولم يَفُتْ من عزيمةِ المُسلمينَ ، بل زادَهُم إيماناً ، نَدِمَ بعضُ القُرَيشِيِّينَ على ما أَقَدَمَ عليه

قَوْمُهُمْ، وَبَدَأُوا شَيْئاً فَشِئْئاً يُخَفِّفُونَ الْحِصَارَ، حَتَّى
 انْتَهَى الْأَمْرُ بِأَنْ أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ أَحْرَاراً فِي الْمَجِيءِ
 إِلَى مَكَّةَ. وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَعُودُوا ثَانِيَةً إِلَى بَيْوتِهِمْ، وَكَانَ
 ذَلِكَ بِمُعْجِزَةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ بَعَثَ الْأَرْضَ (وَهِيَ
 حَشْرٌ صَغِيرَةٌ تَقْرِضُ الْأَشْجَابَ وَغَيْرَهَا) إِلَى صَحِيفَةِ
 الْمُقَاتِلَةِ، فَأَكَلَتْ كُلُّ مَا كُتِبَ فِيهَا مِنْ كَلِمَاتِ الظُّلْمِ
 وَالْمُقَاتِلَةِ، وَأَبْقَتْ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الْكَلِمَاتِ، فَلَمَّا
 رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ، عَرَفُوا أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَقْبَلُ بِهَذِهِ
 الْمُقَاتِلَةِ، فَمَرَّقُوا الصَّحِيفَةَ وَأَسْلَمَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ.

الهجرة

يَعْدُ زَمَنٌ قَصِيرٌ فَارَقَ أَبُو طَالِبٍ عَمَّ الرَّسُولِ
 (ص)، وَخَدِيجَةُ زَوْجَتُهُ الْحَيَاةَ، وَاحِداً إِثْرَ الْآخِرِ،
 فَكَانَ لِفَقْدِهِمَا أَسْوَأُ الْوَقْعِ وَالْأَثَرِ عَلَى الرَّسُولِ (ص)،
 وَهُمَا ظَهَرَاهُ وَنَاصِرَاهُ، وَاشْتَدَّتْ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ضُغُوطُ
 قُرَيْشٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِخَاصَّةٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
 (ص). فَامَّرَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُهَاجِرُوا مَنْ يُرِيدُ الْهَجْرَةَ مِنْهُمْ
 إِلَى الْخَبَشَةِ قَائِلِينَ: «إِنَّ بِهَا (أَيِ الْخَبَشَةِ) مَلِكاً لَا

يُظْلَمُ عنده أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صَدَقٍ. فَهَاجَرَ فَرِيقٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَبْشَةِ بِأَمْرِ ابْنِ عَمِّ الرَّسُولِ (ص)
جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع).

تَأَمَّرَتْ قُرَيْشٌ سِرًّا عَلَى قَتْلِ النَّبِيِّ (ص)، وَفِي
الَّيْلَةِ الْمُحَدَّدَةِ، أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ بِمَكْرِهِمْ، فَأَمَرَ
(ص) عَلِيًّا (ع) بِالْمَبِيتِ عَلَى فِرَاشِهِ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُ
بِمَكْرِ قُرَيْشٍ، سُرَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُ سَيَفْدِي
الرَّسُولَ بِنَفْسِهِ، وَتَأَمَّرَ فِي فِرَاشِهِ، وَخَرَجَ الرَّسُولُ (ص)
مِنْ بَيْنِ الْمُتَأَمِّرِينَ دُونَ أَنْ يَرَوْهُ، وَلَمَّا اقْتَحَمُوا الدَّارَ
مُشْرِعِينَ سُوِّفَهُمْ، فَوَجَّوْا بِأَنَّهُ شَاغِلُ الْفِرَاشِ هُوَ عَلِيٌّ،
فَأَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَلَأَهُمُ الْغَيْظُ دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعُوا
مُوَاجَهَةَ سَيْفِ الْإِمَامِ (ع)، أَمَّا الرَّسُولُ (ص) فَقَدْ
أَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَأَحْبَطَ مَكْرَهُمْ.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

(الأنفال - ٣٠)

كَانَتْ هِجْرَةُ الرَّسُولِ (ص) إِلَى الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ،
ذَاتَ اثَرٍ كَبِيرٍ وَأَهْمِيَّةٍ فَائِقَةٍ، حَتَّى اعْتَبِرَتْ سِنَةُ الْهَجْرَةِ

بدايةً للتاريخ الإسلامي، وكان سُكَّانُ المدينة يَتَتَبَرُونَ
قُدُومَ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ بِفَارِغِ الصَّبْرِ، وَقَدْ خَرَجُوا
لِاسْتِقْبَالِهِ بِالْأَهَازِجِ وَالتَّحِيَّاتِ وَالصَّلَوَاتِ، وَبَيْنَ
جَمَاهِيرٍ قَدْ مَلَأَهَا الْحَمَاسُ، دَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
الْمَدِينَةَ. وَكَانَ أَوَّلُ عَمَلٍ قَامَ بِهِ هُوَ أَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ
مَسْجِدٍ، لِيَكُونَ قَاعَةً تَنْطَلِقُ مِنْهُ دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ،
وَلِيَكُونَ مُنْطَلَقاً لِوَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَبِالتَّعَاوُنِ وَالتَّكَاتُفِ
بَيْنَ النَّاسِ. تَمَّتْ إِقَامَةُ الْمَسْجِدِ بِمَدَّةٍ قَصِيرَةٍ، وَبَدَأَ
الْمُسْلِمُونَ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ، لِيَسْتَمِعُوا إِلَى
تَعَالِيمِ نَبِيِّهِمْ وَإِرْشَادَاتِهِ.

وَكَانَ الْعَمَلُ الثَّانِي لِلرَّسُولِ (ص) أَنَّهُ
أَحَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَغَدَا النَّاسُ الَّذِينَ
كَانُوا بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ يُشْهَرُونَ السُّيُوفَ عَلَى بَعْضِهِمْ،
غَدَاوا بِفَضْلِ هَذَا النُّهْجِ، وَقَدْ شَبَّكَوا الْأَيْدِي، وَوَقَفُوا
كُتْلَةً وَاحِدَةً لَا يَشْغَلُهُمْ سِوَى الْيَقِظَةِ وَالتَّنْبِهِ إِلَى
أَعْدَائِهِمْ، أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ. وَقَدْ تَمَّ تَشْكِيلُ مَجْمُوعَاتٍ
مِنْهُمْ لِتَعْلِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ

عن المنكر ففريقٌ يجلسُ إلى الناسِ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ،
وفريقٌ يَتَلَقَّى تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ وَأُصُولَهُ، وَآخَرُونَ يَمْضُونَ
مَعَ مُعَاهِدِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وقعه بدر الكبرى

كَانَ الْإِسْلَامُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يُحَقِّقُ انْتِشَاراً وَاسِعاً
يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَيَحَقِّقُ الْمُسْلِمُونَ بِالتَّالِي مَزِيداً مِنْ
الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ، وَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الْقُدْرَةُ وَاتَّضَحَتْ
تَحْدِيداً فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِلْهِجْرَةِ، حَيْثُ اسْتَطَاعَ جَيْشُ
الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُلْحِقَ بِمَشْرِكِي قُرَيْشٍ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً،
وَذَلِكَ فِي وَقْعَةِ بَدْرِ الْكُبْرَى وَقَدْ اكْتَسَبَ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَ
هَذِهِ الْوَقْعَةِ الْمَزِيدَ مِنَ الْمُؤَيَّدِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ، كَمَا
ازْدَادَ بِالْمُقَابِلِ إِحْسَاسُ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ بِالْخَطَرِ، وَقَدْ
كَانُوا بَيْنَ فِتْرَةٍ وَآخَرَى يُجَهِّزُونَ حَمَلَةً نَحْوَ الْمَدِينَةِ، كَيْ
يُظْهِرُوا عِجْزَ الرَّسُولِ وَجَمَاعَتِهِ، بِكُلِّ طَرِيقَةٍ مُمَكِّنَةٍ.
أَمَّا الْآنَ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ نَصِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ تَعُدْ تَنْفَعِ
الْمُشْرِكِينَ أَعْمَالُهُمْ، وَغَدَا الظَّفَرُ وَالْغَلْبَةُ حَلِيفَتَيْنِ
لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَكْثَرِ حُرُوبِهِمْ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، لِمَا يُقَدِّمُهُ

المؤمنون من تضحية وفداء، وشيئاً فشيئاً انعدمت
الجُراة لدى قريشٍ على مواجهة جنود الإسلام.

صلحُ الحُدَيْيَةِ

في السَّنةِ السادسةِ للهجرةِ قرَّرَ النبيُّ (ص) أن
يتوجَّهَ بِصُحْبَةٍ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لزيارةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ
فِي مَكَّةَ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِالْأَمْرِ أَرْسَلَتْ وَفْدًا كِي
يَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُوجَّلَ زيارَتُهُ، وَبَعْدَ مُحَادَثَاتٍ مَطْوَلَةٍ
تَوَصَّلَ الرَّسُولُ (ص) وَمُمَثِّلُو قُرَيْشٍ إِلَى اتِّفَاقٍ تَم
تَوْقِيعُهُ وَكَانَ مِمَّا جَاءَ فِيهِ: تَتَوَقَّفُ الْحُرُوبُ
وَالْمَنَارَعَاتُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ لِمُدَّةِ عَشْرِ سَنَوَاتٍ،
وَلِلْمُسْلِمِينَ الْحَقُّ بِالْحَجِّ وَزِيَارَةِ مَكَّةَ وَالْبَقَاءُ فِيهَا ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَذَلِكَ اعْتِبَاراً مِنَ الْعَامِ الْقَادِمِ.

انتشارُ الإسلامِ

وَضَعَ هَذَا الْإِتِّفَاقُ حَدًّا لِعَتْدَاءَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَأُ فُرْصَةً مُنَاسِبَةً لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ كِي
يَقُومَ بِنَشْرِ الدَّعْوَةِ وَتَصْدِيرِ الثَّوْرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى أَقْطَارِ

أُخْرَى. فَأَرْسَلَ بِرَسَائِلَ إِلَى مُلُوكٍ وَحُكَّامِ الْأَقْطَارِ
 الْكَبِيرَةِ آنَ ذَاكَ، يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى الْإِسْلَامِ. وَمِنْ
 أُولَئِكَ الْمُلُوكِ خَسْرُوَيْرِيزَ مَلِكُ إِيرَانَ، وَكَانَ شَخْصاً
 مُتَكَبِّراً يَمْلُؤُهُ الْغُرُورُ وَالصَّلَفُ، فَلَمَّا تَلَقَّى كِتَابَ النَّبِيِّ
 (ص)، كَبَّرَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَجَرَّأَ مُحَمَّدٌ وَيَكْتَبَ إِلَيْهِ، قَبْلَ أَنْ
 يُبَادِرَهُ هُوَ بِالْكِتَابَةِ أَوَّلًا، وَغَضِبَ غَضَباً شَدِيداً! فَمَزَّقَ
 الْكِتَابَ حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ، وَأَمَرَ بِطُرْدِ مَبْعُوثِ النَّبِيِّ
 (ص) مِنْ قَصْرِهِ، وَقَدْ أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ
 أَنْ يَقْتُلَ الرَّسُولَ، لَكِنَّ الْإِلَهَ الْكَبِيرَ سُبْحَانَهُ، سُرَّعَانَ مَا
 هَيَّأَ لِهَذَا الْمَغْرُورِ الْمُتَعَجَّرِ جَزَاءَهُ، فَلَمْ يَنْقُضِ وَقْتُ
 طَوِيلٍ، حَتَّى لَقِيَ حَتْفَهُ بِيَدِ ابْنِهِ.

وَصَلَتْ رَسَائِلُ النَّبِيِّ (ص) وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى
 إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَمِصْرَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْبُلْدَانِ، فَقَامَ
 بَعْضُ حُكَّامِ تِلْكَ الْبِلَادِ بِالرَّدِّ عَلَى دَعْوَةِ النَّبِيِّ (ص)
 رَدّاً مُؤَدَّباً لِاتِّقَاءِ، فَالْنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، بَعَثَ بِرَدِّهِ
 إِلَى الرَّسُولِ (ص) بِكُلِّ أَحْتِرَامٍ وَإِعْزَازٍ، وَأَرْفَقَ رَدَّهُ
 بِهَدَايَا اخْتَارَهَا خَصِيصاً، بَعَثَ بِهَا مَعَ ابْنِ لَه إِلَى



رسول الله (ص).

ومع انتشار العقيدة الإسلامية في شتى المناطق،
استجاب الكثيرون لنداء الرسول (ص)، والتحقوا به
أصحاباً وتابعين.

بعد انقضاء عام كاملٍ على الاتفاق الذي أبرمَ
بين المسلمين وقريشٍ، أصدر النبي (ص) أوامره بأن
تتوجه قوافل المسلمين نحو مكة. ولم يستطع زعماء
قريش أن يقفوا في وجوههم أو يمنعوه من دخول
مكة، طبقاً للاتفاق المعقود بين الطرفين، لكنهم أمروا
سكان مكة بمغادرتها والصعود إلى الجبال الواقعة
حولها. ودخل الرسول (ص) مكة محرماً ومُلبياً دعوة
الله تعالى مع ألفين من أصحابه، وطافوا حول بيت
الله، ثم اضطفوا للصلاة والدعاء. وكان لهذه المناسك
الإسلامية الجليلة أكبر الأثر في نفوس أهل مكة،
حتى أن بعضهم أظهر علناً تعلقه بالرسول (ص)
وشريعته، الأمر الذي أغضب زعماء قريش وسبب
عدم ارتياحهم فأصروا على ألا يبقى المسلمون في

مَكَّةَ سَاعَةً وَاحِدَةً، زِيَادَةً عَلَى الْإَيَّامِ الثَّلَاثَةِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهَا. تَضَائِقَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ تَصَرُّفِ قُرَيْشٍ، لَكِنْ الرِّسُولَ (ص) وَالَّذِي كَانَ صَادِقًا وَحَازِمًا فِي تَنْفِيذِ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ مَعَ مُعَاهِدِيهِ، أَعْطَى أَوْامِرَهُ بِالتَّحَرُّكِ. وَبِإِحْسَاسٍ غَامِرٍ بِالظُّفْرِ وَالْأَرْتِيَاكِ، تَحَرَّكَ الْمُسْلِمُونَ نَحْوَ الْمَدِينَةِ، فَقَدْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَجْهَرُوا بِقَوْلِ «اللَّهُ أَكْبَرُ». «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَأَنْ يُسْمِعُوا النَّاسَ هَذَا النِّدَاءَ الْعَظِيمَ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا عَاجِزِينَ طِيلَةَ سَبْعِ سِنَوَاتٍ حَتَّى عَنْ زِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ.

فتح مكة

فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لِلْهَجْرَةِ، نَشِبَ قِتَالٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَجَيْشِ الرُّومِ، فَخَسِرَ الْمُسْلِمُونَ الْمَعْرَكَةَ وَاضْطُرُّوا لِلتَّرَاجُعِ. وَحِينَ عَلِمَتْ قُرَيْشُ بِانْكِسَارِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ، سَوَّلَتْ لَهُمْ أَحْلَامُهُمْ أَنَّ قُوَّةَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ ضَعُفَتْ، وَأَنَّ الْقَضَاءَ عَلَيْهِمْ أَصْبَحَ سَهْلًا، فَفَقَضُوا لَذَلِكَ عَهْدَهُمْ، وَهَاجَمُوا قَبِيلَةً مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُوَالِيَةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَوَقَعَ أَفْرَادُهَا فِي أَيْدِيهِمْ

بين قتيلٍ وأسيرٍ، بينما استطاعَ البعضُ النجاةَ بالفرارِ،
 ونقلوا خبرَ الهجومِ إلى رسولِ الله (ص)، أنزعجَ
 الرسولُ لنقضِ قريشِ عهدها. وتعهّدَ لهم بتأديبِ
 عبدةِ الأصنامِ المارقين. عمّ القلقُ قريشاً لقرارِ
 الرسولِ (ص) وفوضتِ جماعةٌ، بالتوسّطِ معه على
 تجديدِ العهدِ السابقِ، لكنّ رجاءَهُم هذا قد رُفِضَ،
 وعادَ رُسُلُهُم من مَسعاهُم خائبين. وفي الوقتِ الذي
 رآه الرسولُ (ص) ملائماً لِخُطِطِهِ، أعلنَ التَّعبِثَةَ العامَّةَ
 في المدينة، وأمرَ بأن تُوضَعَ كافَّةُ مداخلِها ومخارجِها
 تحتَ المراقبةِ، وأن تُضَبَّطَ تحرُّكاتُ الناسِ بِشدَّةٍ، كي
 يحوّلَ دونَ وُصولِ أنباءِ التَّعبِثَةِ إلى قريشٍ. وكانَ
 (ص) يُدرِكُ أَنَّهُ إنْ وُفِّقَ المسلمونَ في فتحِ مكَّةَ،
 وإرغامِ العدوِّ على نزعِ سلاحِهِ، فإنَّ كثيراً من أعداءِ
 اليومِ، يُصبحونَ مُسلمينَ غداً بتأثيرِ تعاليمِ الإسلامِ
 السَّمِّحَةِ، ولتحقيقِ ذلكِ يَجِبُ إنجازُ هذا العملِ الكبيرِ
 دونَ إراقةِ دماءٍ.

في العاشرِ من شهرِ رمضانَ المُبارِكِ. من السَّنةِ

الثامنة للهجرة، أَصْدَرَ الرَّسُولُ (ص) أَوَامِرَهُ بِالتَّحَرُّكِ،
وَوَصَلَ جُنْدُ الْإِسْلَامِ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ لَيْلاً،
فَأَقَامُوا مُعَسَّكَرَهُمْ هُنَاكَ، وَأَمَرَ الرَّسُولُ بَنِيرَانَ كَثِيرَةً
فَأُضْرِمَتْ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ وَعَدَدٌ مِنْ مُرَافِقِيهِ خَارِجَ مَكَّةَ،
وَإِذَا بِهِ يُفَاجَأُ بِالنِّيرانِ تَشِعُّ قَرَبَ مَكَّةَ، فَأَخَذَهُ الْعَجَبُ
وَالْحَيْرَةُ، وَتَسَمَّرَ فِي مَكَانِهِ مُنْدَهْشاً مِنْ كَثَرَتِهَا.
تَصَادَفَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَرُورُ الْعَبَّاسِ عَمَّ الرَّسُولِ
(ص) مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، فَرَأَى أَبُو سُفْيَانَ وَنَادَاهُ قَائِلاً:
أَيُّ أَبُو سُفْيَانَ! أَتُدْهِشُكَ هَذِهِ النَّيرانُ؟ إِنَّهَا لَجَيْشُ
مُحَمَّدٍ (ص)، وَقَدْ أَقَامُوا يَنْتَظِرُونَ الصَّبَاحَ لِيَدْخُلُوا
مَكَّةَ، وَلَنْ يَكُونَ فِي طَاقَةِ أَحَدٍ صَدُّهُمْ عَمَّا اعْتَزَمُوا.

ارْتَجَفَ أَبُو سُفْيَانَ لَدَى سَمَاعِهِ أَقْوَالَ الْعَبَّاسِ،
وَرَاحَ يَرْجُوهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مَعَهُ إِلَى الرَّسُولِ، نَاسِياً صَلْفَهُ
وَكِبْرِيَاءَهُ.

وَبِحَضْرَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ (ص) تَظَاهَرَ أَبُو سُفْيَانَ
بِالْإِيمَانِ، وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ، مُتَأَثِّراً مِمَّا رَأَاهُ مِنْ قُوَّةِ وَاقْتِدَارِ
جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ. فِي حِينِ رَأَى الرَّسُولُ الْكَرِيمُ (ص)

فِي اسْتِسْلَامِ أَبِي سُفْيَانَ دُونَ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، خَيْرَ خَاتِمَةٍ
تَحْمِلُ مِنَ الْفَوَائِدِ الْكَثِيرِ. وَأُصْدِرَ قَرَارُهُ قَائِلًا: أُعْلِنُ
عَنْ لِسَانِي لِأَهْلِ مَكَّةَ، أَنَّ كُلَّ مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ
الْحَرَامَ، أَوْ دَخَلَ بَيْتَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، أَوْ لَجَأَ إِلَى بَيْتِ أَبِي
سُفْيَانَ، فَهُوَ آمِنٌ.

عَادَ أَبُو سُفْيَانَ إِلَى مَكَّةَ، وَنَقَلَ إِلَى النَّاسِ فِيهَا
كُلَّ مَا رَأَى وَسَمِعَ وَهُوَ يَرْتَجِفُ، فَتَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى
الْهَرَبِ دُونَ تَفْكِيرٍ، وَلَجَأَ كُلُّ مَنْهُمْ إِلَى مَلْجَأٍ. وَبِنْدَاءِ
اللَّهِ أَكْبَرُ، دَخَلَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ الظَّافِرُ مَكَّةَ،
وَاتَّجَهُوا شَطْرَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَتَقَدَّمَ الرَّسُولُ (ص):
عَلَى نَاقَتِهِ، تَحَفُّ بِهِ جَمُوعُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،
لِأَدَاءِ طَوَافِهِ حَوْلَ بَيْتِ اللَّهِ. وَلَمَّا لَاحَظَ أَهْلُ مَكَّةَ أَنَّ
الرَّسُولَ (ص) لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، شَرَعُوا يَخْرُجُونَ مِنْ
بُيُوتِهِمْ بِحَذَرٍ، وَيَتَجَمَعُونَ قُرْبَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ،
وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَى (ص) مِنْ تَحْطِيمِ الْأَصْنَامِ، وَقَفَ عِنْدَ
بَابِ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِقَةِ، وَبَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ عَلَى
فَضْلِهِ تَلَا بَعْضًا مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ثُمَّ التَفَّتْ

إلى عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ قَائِلًا: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟»
قالوا بصوتٍ تَخَنُّقُهُ الْعِبْرَاتُ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ الضَّعْفُ «أَخُ
كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ»، لَقَدْ أَسَانَا إِلَيْكَ كَثِيرًا يَا
مُحَمَّدُ، وَلَمْ نَرَمْكَ إِلَّا الْخَيْرَ، فَأَنْتَ أَخُ كَرِيمٍ
عَطُوفٌ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ الْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ.

قَالَ النَّبِيُّ (ص): إِنَّكُمْ لَمْ تُعَامِلُونِي بِالْحُسْنَى،
كَمَا يُعَامِلُ الْمَرْءُ ابْنَ بَلَدِهِ، لَقَدْ اتَّهَمْتُمُونِي بِالْكَذِبِ
وَالْجُنُونِ، وَأَخْرَجْتُمُونِي مِنْ دَارِي وَبَلَدِي، وَوَقَفْتُمْ مِنِّي
مَوْقِفَ الْحَرْبِ وَالْخُصُومَةِ.

إِذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ

بَدَأَ عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ يَرْتَجِفُونَ لَمَّا سَمِعُوا هَذَا
الْكَلَامَ، وَجَفَّتْ حُلُوقُهُمْ وَانْعَقَدَتِ السِّنْتُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ،
وَأَيَقَنُوا أَنَّ يَوْمَ الْإِنْتِقَامِ قَدْ أَزَفَ، وَأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ جَمِيعًا
جَزَاءَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ نَفْسِ الْكَأْسِ الَّتِي جَرَعُوهَا
لِلرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ، أَذَىً وَتَعْذِيبًا وَإِذْلَالًا أَمْتَدَّ لِسِنَوَاتٍ.

أَمَّا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ، وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ

بالانتقام من أحدٍ، بل كان وحده بين هذه الجموع ،
يَتَطَلَّعُ إلى مُستقبلِ الإسلامِ وصَلاحِ أمرِ المسلمين ، !
فقد تابع يقول : أما ما يعودُ إليَّ ، فإنِّي سَأَنسى الماضيَ
وأصْفحُ عنكم ، «إِذهبوا فأنتم الطُّلقاء» .

لم يكن أحد من عبدة الأصنام ، ينتظر أن يسمع ما
سَمِعَ ، وأمامَ هذه العَظْمَةِ والمحبَّةِ والخِلمِ ، فقد
غَمَرَهُمُ الإحساسُ بالخَجَلِ ، إلى جانبِ الفرحِ والغِبْطَةِ
بعد أن أيقنوا بالنَّجاةِ . وأعلنَ أكثرُهم إسلامَهم .

بعد أن أقام النبيُّ (ص) في مكَّةَ أياماً ، يُرتَّبُ
أُمُورَها ويُنظِّمُ شُؤونها ، وبعد أن عَيَّنَ لِإِدَارَتِها رجلاً
يَمْتَازُ بالعقلِ والحزمِ ، قَفَلَ عائداً إلى المدينة .

بين المسلمين والروم

بعد فتح مكَّةَ ، أصبحَ الإسلامُ قُوَّةً كبيرةً ، وحادَ
وقتُ غُروبِ شَمسِ الطُّغْيَانِ ، ومع انْتِشارِ الإسلامِ في
الجزيرة العربية ، وانتصاراتِ المُسلمينَ المتوالية في
اليَمَنِ وَحُنَيْنٍ وغيرِهما ، خيمَ القلقُ على قُوى

الاستكبار، وكان الفرسُ والرومانُ في تلك الأيام ،
أكبر دولتين على وجه الأرض ، وتحت تصرفِ كُلِّ
منهما قُوَّةٌ نظاميَّةٌ كبيرةٌ. كان الرومُ قد انتصروا حديثاً
على الفرسِ ، وغدّوا أكثرَ إحساساً بِقُوَّتِهِمْ وجَبَرَوْتَهُمْ ،
وإذا بِهِمْ يَفَاجِئُون بِقُوَّةٍ أُخْرَى تَقِفُ في وجْهِهِمْ
وتتحداهُمْ ، ألا وهي قُوَّةُ الإسلامِ .

كانت قوى الطاغوتِ تخشى أكثرَ ما تخشاهُ ،
الحركاتِ الثوريَّةَ ، وخاصَّةً ثورةَ الفِكرِ ، لذا فقد صمَّم
المُستكبرون الرومانُ على القضاءِ على قُوَّةِ الإسلامِ
الوليدة ، وبأسرع ما يستطيعون .

وصلت أخبارُ سيرِ جيشِ الرومِ ، قوامُهُ أربعونَ
ألفَ مُقاتلٍ ، إلى المُسلمينَ ، وأنه بلغَ حدودَ الشَّامِ
وانضمتْ إليه بعضُ القبائلِ من سُكَّانِ الأطرافِ ،
وصلتْ هذه الأخبارُ إلى المدينةِ في وقتٍ كان فيه النَّاسُ
يعانون من نقصانِ الموادِّ الغذائيَّةِ ، وهم لم ينجزوا بعدُ
جَمَعَ مَحاصيلِهِمْ ، لكنَّ رجالَ اللهِ يَعْرِفُونَ أَنَّ الدَّوْدَ عن
حياضِ الإسلامِ ، لا يَتَقَدَّمُ عليه أمرٌ آخرُ . فلم تَمُضِ

أَيَّامٌ عَلَى صُدُورِ أَوَامِرِ الرَّسُولِ (ص) بِالِاسْتِعْدَادِ، حَتَّى تَحْرُكَ (ص) وَوَرَاءَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفًا لَمْ يَكُونُوا قَدْ أَكْمَلُوا اسْتِعْدَادَهُمْ بَعْدُ، فِي اتِّجَاهِ الْجَبْهَةِ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ عَلِيًّا (ع) فِي الْمَدِينَةِ لِيَقُومَ مَقَامَهُ فِي حِمَايَتِهَا وَالِدَفَاعِ عَنْهَا قَائِلًا لَهُ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيٍّ بَعْدِي» وَحِينَ وُصُولِهِمْ إِلَى الْمَوَاقِعِ الْأَمَامِيَّةِ، قُرْبَ تَبُوكَ، بَعْدَ أَنْ تَحَمَّلُوا الْمَصَاعِبَ وَالْمَشَاقَّ، لَمْ يَرَوْا أَثَرًا لِجُنْدِ الرُّومَانِ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ نَقَهَقَرُوا دَاخِلَ حُدُودِ بِلَادِهِمْ خَوْفًا مِنَ الْهَزِيمَةِ أَمَامَ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ الزَّاحِفَةِ.

تَوَقَّفَ الرَّسُولُ وَمُقَاتَلَوْهُ هُنَاكَ فِتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ، وَبَعْدَ تَوْقِيعِهِ عِدَّةً مِنْ مُعَاهِدَاتِ الصَّدَاقَةِ مَعَ الْقَبَائِلِ مِنْ سُكَّانِ الْأَطْرَافِ، عَادَ مَعَ جَيْشِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ أَخْبَارُ الْفَتْحِ قَدْ سَبَقَتْهُمْ إِلَى هُنَاكَ فَتَجَمَّعَ أَهْلُهَا لِاسْتِقْبَالِهِمْ. انْتَشَرَتْ أَخْبَارُ فِرَارِ الرُّومِ أَمَامَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ انْتِشَارًا سَرِيعًا وَاسِعًا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَحْسَتْ الْقَبَائِلُ الَّتِي كَانَتْ الْخَوْفُ شَاغِلًا مِنْ قُوَى

المستكبرين من الفُرسِ والرومِ ، أنَّ لها ظهيراً جديداً
يُعتمد على حمايته . فأبرموا مع المسلمين العهدَ
والمَوَاقِيقَ . وغدت قُوَّةُ الإسلامِ أخطرَ عدوٍّ
للمستكبرين ، وأكبرَ ظهيرٍ للمستضعفين .

إِنَّ صَرَخَاتِ عَمَارِ بْنِ يَاسِرٍ تَحْتَ التَّعْذِيبِ ، وَأَنِينَ
بِلَالِ الْحَبَشِيِّ فَوْقَ صُخُورِ الصَّحَرَاءِ الْمَلْتَهَبَةِ ، وَدَمَ
حَمْزَةِ الزَّكِيِّ يَسِيلُ عَلَى أَرْضِ أُحُدٍ ، وَدِمَاءُ الْمَثَاتِ مِنْ
الشُّهَدَاءِ الَّتِي امْتَزَجَتْ مَعَ بَعْضِهَا ، قَدْ آتَتْ كُلُّهَا ثِمَارَهَا
الآنَ ، فَأَمْثَالُ عَمَارٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ فَازُوا بِالنَّجَاةِ ،
وَأَمْثَالُ بِلَالٍ قَدْ وَهَبُوا الْخَلَاصَ مِنْ رِبْقَةِ الْأَسْرِ ، وَالْدَّمَ
الظَّاهِرُ وَثُورَةَ الشُّهَدَاءِ الْمُسْتَمِرَّةُ عَبْرَ التَّارِيخِ ، فَجَرَتْ
الْدَّمَ يَجْرِي فِي شَرَايِينِ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ .

يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ .

فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهَجْرَةِ ، أَتَى أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى
رَسُولِهِ (ص) بِأَنْ يَذْهَبَ لِلْحَجِّ هَذَا الْعَامَ ، وَيُعْلِنَ ذَلِكَ
لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ . وَاسْتِجَابَةً لِدَعْوَتِهِ (ص) تَحَرَّكَ

الآلاف من كُلِّ فَجٍّ، مَتَّجِهِينَ نَحْوَ مَكَّةَ، لِيُؤَدُّوا مَنَاسِكَ الْحَجِّ بِصُحْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص). وَكَانَتْ مَنَاسِكَ الْحَجِّ لِهَذَا الْعَامِ قَدْ بَلَغَتْ الْغَايَةَ فِي الْجَلَالِ، وَلَمَّا انْتَهَتْ وَعَزَمَ النَّاسُ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَى مَوَاطِنِهِمْ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقُوا كُلٌّ إِلَى وَجْهِتِهِ، أَمَرَ الرَّسُولُ (ص) النَّاسَ بِالتَّوَقُّفِ فِي مَكَانٍ يُدْعَى «غَدِيرِ خُمٍّ»، ثُمَّ اعْتَلَى مُكَانًا عَالِيًا هُبِّيَّ لَهُ. وَشَرَعَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ بِأَعْلَى صَوْتِهِ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ دُعِيتُ وَسَأَلْتِي قَرِيبًا. وَنَزَوْلًا عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَوْصِيكُمْ فَاسْتَمِعُوا، أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي رَاحِلٌ مِنْ بَيْنِكُمْ، وَتَارِكُ لَكُمْ وَدِيعَتَيْنِ ثَمِينَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا الْقُرْآنُ كِتَابُ اللَّهِ، وَالثَّانِيَةُ أَهْلُ بَيْتِي، وَاعْلَمُوا أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَوْمِ الدِّينِ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) وَرَفَعَهَا قَائِلًا: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ».

اسْتَمَعَ كُلُّ مَنْ كَانَ حَاضِرًا إِلَى بَلَاغِ الرَّسُولِ وَوَصَايَاهُ، وَبَايَعُوا عَلِيًّا كَخَلِيفَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص). لَكِنَّ

ضِعَافَ الْإِيمَانِ سُرْعَانَ مَا يَتَنَاسَوْنَ، وَسُرْعَانَ مَا
يَتَّبِعُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَيَلْتَحِقُونَ بِرُكْبِ
الشَّيْطَانِ.

الساعات الأخيرة

مَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بَعْدَ رُجُوعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
بِقَلِيلٍ، وَكَانَتْ شُؤُونُ أُمَّتِهِ شُغْلَهُ الشَّاعِلَ، حَتَّى وَهُوَ
عَلَى فِرَاشِ الْمَرَضِ، كَانَ لَا يَدْعُ فُرْصَةً تَمْرُدُونَ أَنْ
يُزَوِّدَ النَّاسَ بِمَوْعِظَةٍ، أَوْ يُقَدِّمَ لَهُمْ نَصِيحَةً، كَانَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَرِيدُ أَنْ تَكُونَ تَكَالِيفُ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ
وَفَاتِهِ وَاضِحَةً جَلِيَّةً. أَمَّا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانَتْ تَشْغَلُهُمْ
الْمَنَاصِبُ وَالْمَقَامَاتُ الرَّفِيعَةُ، فَكَانُوا يَحُولُونَ دُونَ
تَحْقِيقِ ذَلِكَ، أَجَلْ! فَإِنَّ رَسُولَنَا الْكَرِيمَ قَدْ عَانَى الْكَثِيرَ
مِنْ قَسْوَةِ أَصْحَابِ الْغَايَاتِ وَعَبِيدِ الْمَنَاصِبِ، حَتَّى فِي
آخِرِ لَحَظَاتِ حَيَاتِهِ الْكَرِيمَةِ. وَفِي حِينٍ كَانَ عَلِيٌّ
وَفَاطِمَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ الْأَوْفِيَاءِ، يَجْلِسُونَ قَرَبَ
وَسَادَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ، يَذَرِفُونَ الدَّمْعَ حُزْنًا عَلَيْهِ،
كَانَ جَمَاعَةٌ آخَرُونَ يَضَعُونَ الْخُطَطَ، وَيَتَوَسَّلُونَ شَتَّى

أنواع المكر والخداع ، وهم ينتظرون وفاة النبي (ص) حتى يُطَبِّقُوا بأيديهم على الخُبْزِ والماء والمنصب .
 إنهم أنفسهم أولئك الذين سبقوا الآخرين يوم «غدير خم» كي يُبَارِكُوا لِعَلِيِّ بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وقد رأينا كيف نَجَحُوا فِي مَسْعَاهُمْ . وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَخْدَعُوا البسطاء من النَّاسِ بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَيَغْسِلُوا أَدْمِغَتَهُمْ ، فَيَنْسُوا كُلَّ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي غَدِيرِ خُمٍّ ، وَمَا قَدَّمَهُ مِنْ مَوَاعِظَ وَنَصَائِحَ ، إِنْ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ عَلَى فِرَاشِ الْمَرَضِ ، يَنْسُونَ كُلَّ هَذَا ، وَيَسْتَمْعُونَ إِلَى نَفَرٍ مَالُوا إِلَى الدُّنْيَا وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلشَّيْطَانِ ، حَتَّى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَوَرَّعُوا عَنْ كَسْرِ ضِلْعِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، بِضِعَةِ الرَّسُولِ (ص) ، وَجَعَلُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا (ع) يُقِيمُ فِي بَيْتِهِ سِنَوَاتٍ لَا يَبْرَحُهُ ، وَمَهَّدُوا لِمَمْلَكَةِ قَرِيشٍ وَمَعَاوِيَةَ وَبِزِيدَ وَالْيَزِيدِيِّينَ .

مضت أيامٌ ، والمدينةُ يَلْفُهَا الْقَلْقُ ، وَيَعُمُّهَا الْحُزْنُ والأسى . كَانَ الْعَدِيدُ مِنْ أَهْلِهَا يَتَجَمَّعُونَ حَوْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ (ص) يَذْرِفُونَ الدَّمُوعَ ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ لَيْلاً وَنَهَاراً ،

يَرْجُونَ لِنَبِيِّهِمُ السَّلَامَةَ. كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ
حَادِثًا جَلَلًا سَيَقَعُ. وَأَخِيرًا، فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ الثَّامِنِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ، أُسْلِمَ النَّبِيُّ (ص) الرُّوحَ إِلَى
خَالِقِ الرُّوحِ، حِينَ كَانَ مُسْنِدًا رَأْسَهُ الْكَرِيمَ إِلَى صَدْرِ
ابْنِ عَمِّهِ وَوَلِيِّ عَهْدِهِ عَلِيٍّ (ع)، وَتَمَّ دَفْنُ جَسَدِهِ
الطَّاهِرِ فِي الْيَوْمِ التَّالِي بِبَيْدِ عَلِيٍّ (ع).

رَحَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَا زِلْنَا بَعْدَ قُرُونٍ مِنْ
رَحِيلِهِ نَسْمَعُ تَرْدَادَ نِدَائِهِ إِذْ يَقُولُ: «إِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ مَا
إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، الثَّقَلَيْنِ. كِتَابَ اللَّهِ
وَعِثْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي». صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ.

يَا رَبِّ! ائْمِنْنَا الْقُدْرَةَ وَالتَّوْفِيقَ، حَتَّى نَعْمَلَ
بِوَصِيَّةِ رَسُولِكَ الْعَظِيمِ، وَأَوَامِرِ قُرْآنِكَ الْكَرِيمِ،
فَنَكُونَ عَلَى خُطَا الْأَصْحَابِ الْمُسْتَجَبِينَ، مِنْ أَنْصَارِ
وَمَوَالِي رَسُولِكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ.

آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ